١٧ - أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه (٢)

١٥/ ١١/ ١٤١٨هـ

إنَّ الحَمْدَ للهِ... أَمَّا بَعْدُ:

فَمَعاشِرَ المُسلِمينَ:

تَقَدَّمَ فِي الجُمُعَةِ الماضِيَةِ شَيءٌ يَسيرٌ عَن فَضائِلِ أَبي بَكرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنه، وما كانَ لَهُ مِنَ المَنزِلَةِ فِي الدِّينِ والدُّنيا والآخِرَةِ، فَفِي الدِّينِ هُو أَقوى الأُمَّةِ إيماناً بعدَ نَبِيِّهِم ﷺ، وَفِي الدُّنيا هُو خَليفَتُهُم بعدَ نَبِيِّهِم، وإِمامُهُم فِي مُصلَّى نَبِيِّهِم ﷺ، وَفِي الآخِرَةِ هُو سَيدُ كُهولِ أَهلِ الجَنَّةِ دُونَ النَّبِيِّينَ والمُرسَلينَ.

وَلَقَد جاءَ فِي شأنِ أَبي بَكرٍ نُصوصٌ كَثيرةٌ تَنطِقُ بِفَضلِهِ وعَدلِهِ، وتَشهَدُ بِقوَّةِ عَزيمَتِهِ وبَأسِهِ.

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

وَمِمَّا يَنبغِي التَّنبيهُ عَلَيهِ فِي شَأنِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنه: أَنَّ أَغلَبَ دَواوينِ التَّاريخِ الحَديثِ صَوَّرَت أَبا بَكرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنه بِالرَّجُلِ اللَّيِّنِ الوَديعِ الهادِئِ، مِمَّا أَعطَى السَّامِعَ والقارِئَ صُورَةً تُشَخِّصُ أَبا بَكرٍ بِأَنَّهُ رَجُلٌ رَقيقٌ رَحيمٌ فَحَسبُ. وهَذِهِ الصُّورَةُ وإِن كانَت جَلِيَّةً فِي أَبي بَكرٍ إِلاَّ أَنَّهَا تَتَلاشَى وتَزولُ عِندَ اشتِدادِ الخُطوبِ وحُلُولِ النَّوازِلِ، فَتَرى الصِّدِّيقَ فِي صُورةِ الجَبَلِ الأَشَمِّ الذِي يُهابُ وَلا يَهابُ، يَقطَعُ حَبلَ التَّرَددِ وَالشَّكِّ، ويَقمَعُ دابِرَ الشَّرِّ، يَمسَخُ شَخصَ الفِتنَةِ، ويَجعَلُ ماءَها غَوْراً.

وسَنَعرِضُ بعضَ النوازِلِ العَظيمَةِ التِي حَلَّت بِالأُمَّةِ بعدَ عَهدِ النُّبُوَّةِ وكَيفَ عالَجَها الصِّدِّيقُ؛ لِنزدادَ يَقيناً بِمعرِفَةِ أبي بَكرٍ ومَحَبَّتِهِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنه، ونَعرِفَ بَعضَ فَضلِهِ عَلى أُمَّةِ الإِسْلامِ.

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

وَأَوَّلُ هَذِهِ النَّوازِلِ وَأَعظَمُها وَقعاً:

فاجِعَةُ مَوتِ النَّبِيِّ ﷺ، تِلكَ الفاجِعَةُ التِي أَقَضَّت كَيانَ الأُمَّةِ، أَصابَت المُسلِمينَ بِأَمرٍ جَلَلٍ، وكَيفَ لا يَكونُ جَلَلاً، وَقَد فَقَدُوا نَبِيَّهُم وقُدوَتَهُم ومُعَلِّمَهُم، إِن أَشكَلَ عَلَيهِم شَيءٌ سَأَلوهُ، وإِن أَرادُوا أَمَراً استَشارُوهُ، لاَ يَحُلُّونَ أَمراً دُونَهُ، يُوقِّرُ كَبيرَهُم، ويَعودُ مَريضَهُم، ويُشَيِّعُ مَيِّتَهُم {**عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**} [سورة التوبة: ١٢٨].

يا تُرَى كَيفَ يَكونُ حالُهُم بعدَ ذَلِكَ؟ وأَيُّ مَقالٍ يُمكِنُ أَن يَصِفَ ذَلِكَ؟ حَسبُنا فِي هَذا المَقامِ أَن يُذكَرَ وَصفُ عُروَةَ بنِ الزُّبَيرِ لِحالِ المُسلِمينَ عِندَ مَوتِ نَبِيِّهِم ﷺ: قَالَ عُروَةُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (نَجَمَ النِّفاقُ، واشرَأَبَّتِ اليهودِيةُ والنَّصرانِيَةُ، وَالمُسلِمونَ كَالغَنَمِ المَطيرَةِ فِي الليلَةِ الشَّاتِيَةِ؛ لِفَقدِ نَبِيِّهِم ﷺ، وَقِلَّةِ عَدَدِهِم، وكَثرةِ عَدُوِّهِم) انتَهى كَلامُهُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

مَعاشِرَ المسلِمينَ:

وفِي مِثلِ هَذهِ الحالِ كانَ لا بُدَّ مِن شَخصٍ يَفصِلُ فِي القَضِيَّـةِ وَيَرُدُّ الحَقَّ إِلى نِصابِهِ؛ لِتَعودَ الأُمورُ إِلى مَجراها الصَّحيحِ.

فَسَلَّمَ اللهُ هَذا الدِّينَ وحَفِظَ قِوامَهُ، وثَبَّتَ اللهُ الثُّلَّةَ الصَّادِقَةَ المُخلِصَةَ، وعَلى رَأسِها رَجُلٌ قَدِ اجتَمَعت فِيه خِصالٌ عَظيمَةٌ، واحِدَةٌ مِنها تَكفِي لِشَرَفِهِ وفَضلِهِ.

قامَ سَيِّدُ الصَّحابَةِ وإِمامُهُم بعدَ نَبِيِّهِم ﷺ، أَبو بَكرٍ الصِّدِّيقُ السَّابِقُ إِلى التَّصديقِ، أَفضَلُ الأُمَّةِ بعدَ نَبِيِّها، وأَشَدُّهُم قُوَّةً فِي الحَقِّ، وأَمضاهُم عَزيمَةً، فَماذا كانَ شأنُهُ؟

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

قامَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنه لِيَفصِلَ فِي القَضِيَّةِ.

عَوداً عَلى بَدءٍ يُقالُ: لَمَّا ماتَ النَّبِيُّ ﷺ تَكالَبَت المَصائِبُ، واشتَدَّ الخَطبُ، وكَثُرَت الظُّنونُ، واختَلَفَتِ الآراءُ، فَمِن مُكَذِّبٍ بِمَوتِ النَّبِيِّ ﷺ ومِن مُصَدِّقٍ، ومِن شاكٍّ أو مُتَرَدِّدٍ.

حَتَّى إنَّ الفارُوقَ رَضِيَ اللهُ عَنه -وهُو الرَّجُلُ الثَّانِي فِي الإِسْلامِ مِنَ الصَّحابَةِ- كَذَّبَ الخَبَرَ، بَل وخَطَبَ النَّاسَ فِي المَسجِدِ مُهَدِّداً قائِلاً: إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لاَ يَموتُ حتَّى يُفنِي اللهُ المُنافِقينَ. وكانَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنه يَتَوَعَّدُ مَن قَالَ بِمَوتِ النَّبِيِّ ﷺ، يَتَوعَدُّهُم بِالقَتلِ والقَطعِ، وَالنَّاسُ فِي المَسجِدِ يَبكُونَ ويَموجُونَ، أَصبَحَ المُسلِمونَ فِي تِلكَ الحالَةِ فِي وضعٍ يَطمَعُ فِيه كُلُّ حاسِدٍ.

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

لَكِنَّ السُّؤالَ الذِي يَطرَحُ نَفسَهُ: أَينَ سَيِّدُ الصَّحابَةِ؟ وماذا كانَ مَوقِفُهُ؟

قَالَ التَّارِيخُ: عِندَما شاعَ خَبَرُ الوَفاةِ النَّبَوِيَّةِ كانَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنه فِي مَنزِلِهِ فِي السُّنحِ أَحَدِ مَحالِّ المَدينَةِ أَو ضَواحِيها، فَلَمَّا تَرامَتِ الأَنباءُ إلى مَسامِعِهِ بِخَبَرِ الوَفاةِ النَّبَوِيَّةِ، أَقبَلَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنه عَلى دابَّتِهِ، وَلَم يُكَلِّم أَحَداً حَتَّى نَزَلَ بِبابِ المَسجِدِ، أقبَلَ مَكروباً حَزيناً.

جاءَ الصِّدِّيقُ فَاستَأذَنَ عَلى بَيتِ ابنَتِهِ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنهَا، فَأَذِنَت لَهُ، فَدَخَلَ فَرَأَى النَّبِيَّ ﷺ وهُو مُسَجَّى، فَكَشَفَ عَن وَجهِهِ ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيهِ فَقَبَّلَهُ ثُمَّ بَكى، وَقالَ: (بِأَبِي أَنتَ وأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، لاَ يَجمَعُ اللهُ عَلَيكَ مَوتَتَينِ أَبداً).

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

وعِندَما أَصبحَ خَبَرُ الوَفـاةِ النَّبوِيَّةِ كَالشَّمـسِ فِي النَّهـارِ لَيسَ دُونَهـا سَحابٌ، خَرَجَ الصِّدِّيقُ إِلى النَّاسِ وعُمَرُ يَتَهَدَّدُ ويتوَعَّدُ فَكَلَّمَ الصِّدِّيقُ عُمَرَ، وحاوَلَ أَن يُثنِيَهُ عَن عَزمِهِ ورَأيِهِ، فَأَبَى عُمَرُ عَلَيهِ، فَزَجَرَهُ الصِّدِّيقُ قائِلاً: (اجلِس يا عُمَرُ). فَأَبَى عُمَرُ عَلَيهِ، فَأَعرَضَ عَنهُ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ قامَ الصِّدِّيقُ فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ: (أَمَّا بَعدُ، مَن كانَ يَعبُدُ مُحَمَّداً فَإِنَّ مُحَمَّداً قَد ماتَ، ومَن كانَ يَعبُدُ اللهَ فإِنَّ اللهَ حَيٌّ لاَ يَموتُ). ثُمَّ تَلا قَولَهُ تَعَالَى: {**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفإِنْ مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**} [سورة آل عمران: ١٤٤].

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

وبعدَ ما فَرَغَ الصِّدِّيقُ مِن كَلامِهِ رَجَعَ الأَمرُ إِلى نِصابِهِ، وزالَ الشَّكُّ وحَلَّ اليَقينُ.

وَصَفَ لَنا ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما حالَ النَّاسِ فَقالَ: (فَواللهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَم يَعلَموا أَنَّ اللهَ أَنزَلَ هَذِهِ الآيَةَ، حتَّى تَلاها أَبو بَكرٍ، فَتَفَرَّقُوا بَعدَما عَلِمُوا صِدقَ الخَبَرِ).

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنه: (وَاللهِ ما هُوَ إِلاَّ أَن سَمِعتُ أَبا بَكرٍ تَلاها، فَعَرَفتُ أَنَّهُ الحَقُّ، فَعُقِرتُ حَتَّى ما تُقِلُّنِي رِجلايَ، حتَّى هَوَيتُ إِلى الأَرضِ وعَرَفتُ -حِينَ سَمِعتُهُ تَلاها- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَد ماتَ).

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

وبعـدَ ما أَخمَـدَ الصِّدِّيـقُ رَضِـيَ اللهُ تَعالَـى عَنــه الآراءَ الباطِلَـةَ، وأَسكَتَ الشُّكوكَ فِي قَضِيَّةِ مَوتِ النَّبِيِّ ﷺ، وكانَ لَهُ الفَضلُ بعدَ اللهِ فِي الأُمَّةِ جَمعاءَ.

جاءَتِ القَضِيَّةُ الثَّانِيةُ وَهِي مَوضِعُ دَفنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَد نَشَبَ خِلافٌ بينَ بعضِ الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنهُم فِي مَكانِ دَفنِهِ ﷺ، فَقالَ بعضُهُم: يُدفَنُ فِي البَقيعِ. وقالَ آخَرونَ: يُدفَنُ فِي بَيتِهِ. وقَالَ غَيرُهُم: يُدفَنُ فِي مَكَّةَ مَوطِنِ آبائِهِ وأَجدادِهِ.

وَلَمَّا اتَّسَعَت دائِرَةُ الخِلافِ، كانَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنه رَجُلَ المَوقِفِ، وكانَت كَلِمَتُهُ فَصلاً بَينَهُم، وكانَ أَغزَرَهُم عِلماً، فَقالَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنه: سَمِعتُهُ ﷺ يَقُولُ: «**مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إِلاَّ دُفِنَ حَيثُ تُوُفِّيَ**»[1] فانفَضَّ الجَمعُ بعدَ هَذِهِ المَقالَةِ، ودَفَنُوهُ حَيثُ تُوُفِّيَ ﷺ.

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

مَرَّت تِلكَ القَضِيَّةُ بِسَلامٍ بَعدَ أَن حَسَمَها الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ بِعِلمِهِ وحِفظِهِ.

وبَعدَ تِلكَ القَضِيَّةِ جاءَت قَضِيَّةُ القَضايا: قَضِيَّةُ الخِلافَةِ، ومَن يَتَوَلَّى أَمرَ المُسلِمينَ بعدَ نَبِيِّهِم ﷺ. اجتَمَعَ زُعَماءُ المُهاجِرينَ وزُعَماءُ الأَنصارِ وَجهاً لِوَجهٍ، فِي سَقيفَةِ بَنِي سَاعِدَةٍ، تِلكَ السَّقيفَةُ التِي ضَمَّت بَينَ جَنَباتِها أَعظَمَ مُؤتَمَرٍ بعدَ النَّبِيِّ ﷺ.

مِن تَحتِ سَقفِ هَذِهِ السَّقِيفَةِ سَيَصدُرُ أعظَمُ قَرارٍ تارِيخِيٍّ فِي ذَلِكَ الوَقتِ، فَما الذِي حَدَثَ؟ قامَ خَطيبُ الأَنصارِ -رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنهم- فَتَشَهَّدَ وأَثنى عَلى اللهِ بِما هُوَ أَهلُهُ، ثُمَّ قَالَ: (أَمَّا بَعدُ: فَنَحنُ أَنصارُ اللهِ وكَتِيبَةُ الإِسْلامِ، وأَنتُم مَعشَرَ المُهاجِرينَ رَهطٌ، وقَد دَفَّت دافَّةٌ مِن قَومِكُم، فَإِذا هُم يُريدونَ أَن يَختَزِلُونا مِن أَصلِنا، وأَن يَحضونا مِنَ الأَمرِ).

---

(1) رواه الترمذي (١٠١٨).

فَلَمَّا سَكَتَ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنه: (فأَرَدتُّ أَن أَتَكَلَّمَ، وكُنتُ زَوَّرْتُ (يَعني: هَيَّأتُ) فِي نَفسِي مَقالةً أَعجَبَتنِي، أُريدُ أَن أُقدِّمَها بَينَ يَدَي أَبي بَكرٍ، وكُنتُ أُداري مِنهُ بعضَ الحَدِّ).

قَالَ عُمَرُ: (فَلَمَّا أَرَدتُ أَن أَقومَ، قَالَ أَبو بَكرٍ: عَلى رِسلِكَ. فَكَرِهتُ أَن أُغضِبَهُ، فَتَكَلَّمَ أَبو بَكرٍ، فَكانَ هُو أَحلَمَ مِنِّي وأَوقَرَ، وَاللهِ ما تَرَكَ مِن كَلِمَةٍ أَعجَبَتنِي فِي تَزويرِي إِلاَّ قالَ فِي بَديهَتِهِ مِثلَها أَو أَفضَلَ مِنها، حتَّى سَكَتَ).

فَماذا قَالَ أَبو بَكرٍ؟ قَالَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنهُ مُخاطِباً الأَنصارَ: (ما ذَكَرتُم فِيكُم مِن خَيرٍ فَأَنتُم لَهُ أَهلٌ، ولَن يُعرَفَ هَذا الأَمرُ إِلاَّ لِهَذا الحَيِّ مِن قُرَيشٍ، وهُم أَوسَطُ العَرَبِ نَسَباً وداراً، وقَد رَضِيتُ لَكُم أَحَدَ هَذَينِ الرَّجُلَينِ، فَبايِعُوا أَيَّهُما شِئتُم) فأَخَذَ بِيَدِ عُمَرَ وبِيَدِ أَبِي عُبَيدَةَ، وكانَ الصِّدِّيقُ جالِساً بَينَهُما.

قَالَ عُمَرُ: (فَلَم أَكرَه مِمَّا قَالَ غَيرَها. وكانَ وَاللهِ أَن أُقَدَّمَ فَتُضرَبَ عُنُقِي لاَ يُقَرِّبُني ذَلِكَ مِن إِثمٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِن أَن أتأَمَّرَ عَلى قَومٍ فِيهِم أَبو بَكرٍ).

مَعاشِرَ المسلِمينَ:

وبعدَ أَن اقتَنَعَ الجَميعُ بِكَلامِ أَبي بَكرٍ، تَدارَكَ عُمَرُ المَوقِفَ فَقالَ: (يا أَبا بَكرٍ، ابسُط يَدَكَ) فَبايَعَهُ عُمَرُ، ثُمَّ بايَعَهُ المُهاجِرونَ والأَنصارُ، فَكَفَى اللهُ المُؤمِنينَ شَرَّ الفُرقَةِ والاختِلافِ، وجَعَلَ أَبا بَكرٍ سَبَباً فِي جَمعِ كَلِمَةِ المُهاجِرينَ والأَنصارِ، فَرَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنهُ وعَنهُم.

الخطبة الثانية

الحَمدُ للهِ...

مَعاشِرَ المُسلِمِينَ:

وبَعدَ أَن فَرَغَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنه مِن أَمرِ الخِلافَةِ جاءَت القَضِيَّةُ الرَّابِعَةُ، ولَعَلَّها مِثلُ أُختِها أَو أَكبَرُ مِنها، وخُلاصَتُها: أَنَّ النِّفاقَ استَشرَى فِي المُجتَمَعِ بعدَ فاجِعَةِ مَوتِ النَّبِيِّ ﷺ، وارتَدَّت بعضُ قَبائِلِ العَرَبِ، ورَفَعُوا رايَةَ العِصيانِ، تَلَفَّتَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنه يَمنَةً ويَسرَةً، فَعَلِمَ أَنَّ الأَمرَ لا بُدَّ لَهُ مِن حَزمٍ وعَزمٍ بِعِلمٍ، شَمَخَ المُرتَدُّونَ بِأُنوفِهِم، فَرَفَعَ عَلَيهِمُ الصِّدِّيقُ سَيفَ الحَقِّ واثِقاً بِنَصرِ اللهِ وتأييدِهِ.

لَكِنَّ الأَمرَ استَفحَلَ خَطَرُهُ، وزادَت شِقَّةُ الخِلافِ فِيه، ذَلِكَ: أَنَّ الصَّحابَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنهُم كانَ لَهُم رَأيٌ يُخالِفُ رأيَ أَبي بَكرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنه.

فَاجتَمَعت عَلى الصِّدِّيقِ نازِلَتان: المُرتَدُّونَ الخارِجونَ عَلَيهِ بِسِلاحِهِم، وَالصَّحابَةُ المُختَلِفُونَ عَلَيهِ بِرَأيِهِم، قَالَت عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنها: (وَاللهِ لَقَد نَزَلَ بِأَبِي يَومَ الرِّدَّةِ مَا لَو نَزَلَ بِالجِبالِ الرَّاسِياتِ لَهاضَها).

شاهِدُ القَول:

أَنَّ الصَّحابَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنهُم أَرادُوا مِن أَبي بَكرٍ أَن يُسَيِّرَ جَيشَ أُسامَةَ بنِ زَيدٍ إِلى قِتالِ المُرتَدِّينَ فَامتَنَعَ الصِّدِّيقُ مِن ذَلِكَ، وأَبَى أَشَدَّ الإِباءِ إِلاَّ أَن يُنفِذَ جَيشَ أُسامَةَ حَيثُ كانَت وِجهَتُهُ السَّابِقَةُ.

وقالَ رَضِيَ اللهُ عَنه: (وَاللهِ لاَ أَحُلُّ عُقدَةً عَقدَها رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَو أَنَّ الطيرَ تَخطَفُنا والسِّباعَ مِن حَولِ المَدينةِ، ولَو أَنَّ الكِلابَ جَرَت بِأَرجُلِ أُمَّهاتِ المُؤمِنينَ فِي المَدينَةِ، لأَجهَزَتُ جَيشَ أُسامَةَ وآمرُ الحَرَسَ يَكونُونَ حَولَ المَدينَةِ).

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

أَصَرَّ أَبو بَكرٍ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنه عَلى رَأيِهِ دَلِكَ وأَكَّدَ إِصرارَهُ، فَما الذِي حَدَثَ بعدَ تَسيير جَيشِ أُسامَةَ؟

أَجابَ عَن دَلِكَ الحافظُ ابنُ كَثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فَقالَ: كانَ خُروجُ الجَيشِ فِي دَلِكَ الوَقتِ مِن أَكبَرِ المَصالِحِ وَالحالَةُ تِلكَ، فَسارُوا لا يَمُرُّونَ بِحَيٍّ مِن أَحياءِ العَرَبِ إِلاَّ أُرعِبُوا مِنهُم، وَقالُوا: ما خَرَجَ هَؤلاءِ مِن قَومٍ إِلاَّ وبِهِم مَنَعَةٌ شَديدَةٌ، فَقامُوا أربَعينَ يَوماً -وَقيلَ: سِتينَ يَوماً- ثُمَّ أَتَوا سالِمينَ غانِمينَ، ثُمَّ رَجَعوا فَجَهَّزَهُم الصِّدِّيقُ حينَئِذٍ معَ الأَحياءِ الذِينَ أَخرَجَهُم لِقِتالِ المُرتَدينَ ومانِعِي الزَّكاةِ.

مَعاشِرَ المسلِمينَ:

وقَضِيَّةٌ أُخرَى مُتَعَلِّقَةٌ بِالمُرتَدِّينَ، كانَ الفَضلُ فِيها لأَبي بَكرٍ، فَحَكَمَ فِي القَضِيَّةِ، وأَمَرَ الجَيشَ وجَهَّزَ السَّرِيَّةَ، دَلِكَ أَنَّ مَسأَلَةَ قِتالِ المُرتَدينَ: خالفَ فِيها الصِّدِّيقُ الصَّحابَةَ، وانتَدَبُوا عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ إِلى أَبي بَكرٍ لِيَثنِيَهُ عَن رَأيِهِ وعَزمِهِ، لَكِنَّ أَبا بَكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنه كانَ قَد سَبَرَ الأُمورَ وتَحَقَّقَها، فَكانَ أَمرُ القِتالِ نافِذاً لا بُدَّ مِنه، جاءَ عُمَرُ إِلَيهِ وكَلَّمَهُ فِي دَلِكَ، فَصاحَ الصِّدِّيقُ فِي وَجهِهِ وخاطَبَهُ قائِلاً لَهُ: (مَهْ يا عُمَرُ! رَجَوتُ نُصرَتَكَ وجِئتَنِي بِخُذلانِكَ، أَجَبَّارٌ فِي الجاهِلِيَّةِ خَوَّارٌ فِي الإِسْلامِ؟ مَاذا عَسَيتَ أَن أتأَلَّفَهُم، بِسِحرٍ يُفتَعَلُ أَم بِشِعرٍ يُفتَرى؟! هَيهاتَ هَيهاتَ، مَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ وانقَطَعَ الوَحيُ، فَواللهِ لأُجاهِدَنَّهُم مَا

استَمسَكَ السَّيفُ فِي يَدِي، فَواللهِ لأُقاتِلَنَّ مَن فَرَّقَ بَينَ الصَّلاةِ والزَّكاةِ، واللهِ لَو مَنَعُونِي عِقالَ بَعيرٍ كانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقاتَلتُهُم عَلَيهِ) أَصَرَّ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ عَلى رأيهِ ومَضَى إِلى هَدَفِهِ، وأَمَرَ بِقِتالِ المُرتَدِّينَ فَقُوتِلُوا وكُسِرَت شَوكَتُهُم.

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

وهَكَذا أَرغَمَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أُنوفَ العُصاةِ، وَأَقامَ اعوِجاجَهُم.

قَالَت عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنها: (فَلَمَّا قَبَضَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ اضطَرَبَ حَبلُ الدِّينِ، ومَرَجَ عَهدُهُ، وماجَ أَهلُهُ، وبُغِيَ الغَوائلُ، ونُصِبَت لَهُ الحَبائِلُ، وَظَنَّت رِجالٌ أَن قَد أكتَبَ نهزُها، وَلاتَ حينَ الذِي يَظُنُّونَ، وأَنَّى وَالصِّدِّيقُ بينَ أَظهُرِهِم؟ فَقامَ حاسِراً مُشَمِّراً، فَرَفَعَ حاشِيَتَيهِ، وجَمَعَ قُطرَيهِ، ولَمَّ شَعَثَهُ بِطِبِّهِ، وأَقامَ أَوَدَهُ بِثقافِهِ، حتَّى امدَقَرَّ النِفاقُ بِوَطئِهِ، وانتَاشَ الدِّينَ فَنَعَشَه، وأَراحَ الحَقَّ عَلى أَهلِهِ، وقَرَّرَ الرُؤوسَ عَلى كَواهِلِها، وحَقَنَ الدِّماءَ فِي أهُبِّها).

قَالَت عائِشَةُ بنتُ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَن أَبِيها وعَنها: (أَبِي ثانِيَ اثنَينِ اللهُ ثالِثُهُما، أَوَّلُ مَن سُمِّيَ صِدِّيقاً، مَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ راضِياً عَنهُ، وطَوَّقَهُ أَعباءَ الإِمامَةِ، ثُمَّ اضطَرَبَ حَبلُ الدِّينُ بَعدَهُ، فَمَسَكَ أَبِي بِطَرَفَيهِ، ورَتَقَ لَكُم فَتقَ النِّفاقِ، وأغاضَ نَبعَ الرِّدَّةِ، وأَطفَأَ ما حَشت يَهودُ، رَأبَ الإِفسادَ، وأَلانَ مِنَ الغِلظَةِ، وأَخرَجَ مِنَ الهوةِ، واستأصَلَ دَفينَ الدَّاءِ، حتَّى أَعطنَ الوارِدَ، وأَورَدَ الصَّادِرَ، وعَلَّ النَّاهِلَ، فَقَبَضَهُ اللهُ واطِئاً عَلى هاماتِ النِّفاقِ، مُذكياً نارَ الحَربِ عَلى المُشرِكينَ).

وَقالَ شَيخُ الإِسلامِ ابنُ تَيمِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (قامَ الصِّدِّيقُ -رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنه- مَقامَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وأَقامَ الإِسْلامَ، فَلَم يُخِلَّ بِشَيءٍ مِنهُ، بَل

أَدخَلَ النَّاسَ مِنَ البابِ الذِي خَرَجُوا مِنهُ، معَ كَثرةِ المُخالِفينَ مِنَ المُرتَدينَ وغَيرِهِم، وكَثرَةِ الخاذِلينَ، فَكملَ بِهِ مِن عِلمِهِم ودينِهِم ما لا يُقاوِمُهُ فِيه أحَدٌ، حتَّى قامَ الدِّينُ كَما كانَ).

وقالَ الإِمامُ عَلِيُّ بنُ المَدِينيّ -رَحِمَهُ اللهُ-: (أَعَزَّ اللهُ الدِّينَ بِرَجُلَينِ؛ بِأَبِي بَكرٍ يَومَ الرِّدَّةِ، وأحمدَ يومَ المِحنَةِ).

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

وبعدَ أن نَفَضَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنه يَدَيهِ مِن تِلكَ الفِتَنِ المُتَتالِيَةِ، عادَ لِلأُمَّةِ سُلطانُها، ولِلخِلافَةِ هَيبَتُها، واستَقَرَّت لِلدَّولةِ أَركانُها، لَم يَطُل أَجَلُ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنه، فَقَضَى نَحبَهُ بعدَ ما أعادَ لِلمِياهِ صَفاءَها وَأَزالَ كَدَرَها، قَضَى نَحبَهُ وَلا تَزالُ أَلويةُ الجِهادِ خَفَّاقَةً مُواجِهةً لأَعداءِ المِلَّةِ، قَالَت عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنها بعدَ مَوتِ أَبيها: (نَضَّرَ اللهُ وَجهَكَ يا أَبَتِ، وشَكَرَ لكَ صالِحَ سَعيكَ، فَلَقَد كُنتَ لِلدنيا مُذِلاً بِإدبارِكَ عَنها، ولِلآخِرَةِ مُعِزّاً بِإقبالِكَ عَلَيها، ولَئِن كانَ أَجَلَّ الحَوادِثِ بعدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رُزؤُكَ، وأَعظَمَ المَصائِبِ بعدَهُ فَقدُكَ، إِنَّ كِتابَ اللهِ لَيَعِدُ بِحُسنِ الصَّبرِ عَنكَ حُسنَ العِوَضِ مِنكَ، وأَنا أستَنجِزُ مَوعودَ اللهِ فِيكَ بِالصَّبرِ، وأَستَقضِيهِ بِالاستِغفارِ لَكَ، أَما لَئِن قامُوا بِأَمرِ الدُّنيا، لَقَد قُمتَ بِأَمرِ الدِّينِ، لَمَّا وَهَى شَعبُهُ، وتَفاقَمَ صَدعُهُ، ورَجَفَت جوانِبُهُ، فَعَلَيكَ سَلامُ اللهِ، تَوديعُ غَيرِ قالِيةٍ لِحَياتِكَ، ولا زارِيةٍ عَلى القَضاءِ فِيكَ).

اللَّهُمَّ اجزِ أَبا بَكرٍ عَن أُمَّةِ الإِسْلامِ خَيراً، اللَّهُمَّ ارزُقنا حُبَّهُ وحُبَّ مَن يُحِبُّـهُ، اللَّهُمَّ مَن أَبغَضَهُ، أَو شَكَّكَ فِي شَيءٍ مِن نَزاهَتِهِ وعَدْلِهِ فَاقطَع دابِرَهُ ودابِرَ مَن شايَعَهُ وناصَرَهُ.

اللَّهُمَّ ارضَ عَنِ الصَّحابَةِ أَجمَعينَ، واجمَعنا بِهِم فِي جَنَّاتِكَ جَنَّاتِ النَّعيمِ.